

رويد ك إنني شبهت دارا □ □ □ □ على أمثالها تقف المهاري

مدينة السوق (تادمكة).

ماض زاهر ونهايات مثيرة.

مدينة قريبة في الاعتبار ضاربة في أعماق القدم وطوايا الأعصار مدينة كانت أمس مشهورة ولكنها اليوم أسطوره وأطلال مهجورة . قبل البدء في الكلام عن مدينة السوق التاريخية ينبغي التنبيه إلى أن الاسم الموجود في المصادر التاريخية لهذه المدينة هو مدينة (تاد مكة)، وتسميتها باسم السوق كانت متأخرة ولكن جرى تغليب الاسم الأخير (السوق) على مرادفه (تاد مكة) وصار الناس لا يذكرون يذكرونها إلا بالأخير. وهذا شيء معروف مألوف وهو أن المدينة الواحدة قد تحمل عدة أسماء فيجري تغليب اسم واحد على ما سواه مثل أم القرى ومكة وبغداد ودار السلام والمدينة وطيبة وغيرها.

وتسمى هذه المدينة (السوق) بالعربية و(أسوك) وتادمكة بالطارقية ولكثرة الأسماء دلالة على أن المسمى ذو شأن ومحل عناية واهتمام.

الموقع وحدوده:

تقع أطلال هذه المدينة التاريخية في بلاد (أضاغ) وكانت قبل أن زالت إحدى ممالك صنهاجة الصحراء (الملثمين) المستقلة في قلب الصحراء جنوب بلاد (هكار) بالجزائر وشمال بلاد السودان الغربي وغربي (آير) وشرقي موريتانيا وتعد اليوم ضمن البلديات التابعة لولاية (كيدال) أقصى شمال جمهورية مالي على بعد ستين كلم الشمال الغربي مشارف الحدود مع الجزائر، بزرع تيبينن □ في وادي إبدقن الذي يخترق جبال أضاغ من المشرق إلى المغرب وعلى رأس منبسط تمسنا إلى قيعان تلمسي غربا محدودة شرقا بدائرة (أبيبر) وبلدية (أنضيف) ودائرة (تسليت) جهة المغرب وتغطي الأراضي التابعة لها مساحة (50,000) كلم ويبلغ سكانها □ □ حوالي تسع وأربعين ألف نسمة.

السوق تادمكة من القرن الأول الهجري وإلى القرن العاشر:

الخطوط القديمة والأقاصيص المتداولة مازالت تتحدث أن هذه المدينة عاشت نشاطا حيويا وشهدت حراكا علميا واقتصاديا أشارت وأشادت بها بعض الأقدام التي زارتها أو عاصرتها بشكل يشد ويغري من له نهمة إلى القراءة وكلف إلى اكتشاف الجديد، وإن للجديد روعته وطرافته، ومن لم يختبرها لم يعتبرها سوى خرافات مزخرفة أو نسج خيال من الحقيضة خال، وتآبى تلك النقوش الحجرية المراسخة، وما أثارت عوامل ومعاول البلى والتعرية من آثار شاهدة صامدة ناطقة أو صامته تؤكد فعلا أنها قد كانت قبلة التجار ومحطة الأسفار ومنتدى الأدباء ومنبر العلماء الأبرار ومرابط المجر الجرار وكل جديد فالى البلى والبوار.

وقد شبكت بينها وبين كثير من المدن التاريخية المهمة خطوط اتصال عبر طرق مسلوكة انطلقت منها وإليها، منها: خط يربط بينها وبين القيروان تنتظم فيه عدة محطات آنذاك أهمها مدينة وركلا، ثم مدينة قسطيلية.

وإلى جهة المشرق الطريق الممتد منها إلى غدامس ويستمر إلى ليبيا. قال صاحب الروض المعطار: ومن غدامس يدخل إلى بلد تادمكة وغيرها من بلاد السودان. الروض المعطار في خبر الأقطار 1/427

وبالنسبة لبلاد السودان الغربي هناك خط نشيط بينها وبين غانة العاصمة التي فتحها الجهاد المرابطي 469 هـ □

وطريق ثان يتجه نحو الجنوب إلى مدينة كوكو (كاو حاليا) من مدن السودان التجارية على النيل الغربي. (نهر النيجر) وكذلك بلاد (إكدر) وما يليه في الجنوب الشرقي لها التابع لما أطلق عليه مؤخرًا جمهورية النيجر. وذكر البكري أن المسافة المفاصلة بين ورجلة وتادمكة تقدر بخمسين يوماً، وبين تادمكة وكاوا بعشرة أيام. مجلة التاريخ العربي 1/82

وشملتها الدولتان المرابطية السنية والموحدية بعد قيامهما وسرعان ما انقطعت عنهما واستقلت بشأنها. كما أنها خضعت بالاسم لدولة بني مرين في القرن السابع الهجري.

والمدينة أعرق وأسبق من مدينة (تنبكتو) التي كتب لها البقاء وظلت مركزا تجاريا وثقافيا مأتيا تنتابها القوافل التجارية من عامة الجهات حتى نابت النوب واختفى معدن الذهب وحالت الأحوال فنترق أهلها ما بين طاوة وإيروان وبوجيبه وتنبكتو وغيرها وإن أحوال الأمام وعوادهم لانتدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر إنما هو اختلاف على الأيام والأزمنة وانتقال من حال إلى حال.